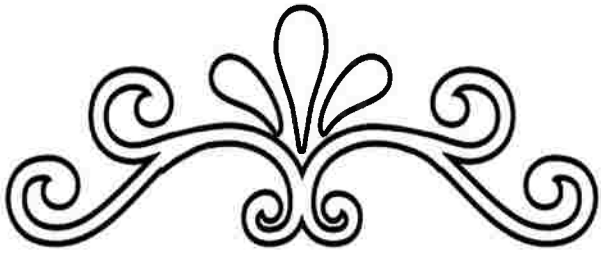

# الباب التاسع

# العَلمانيَّة

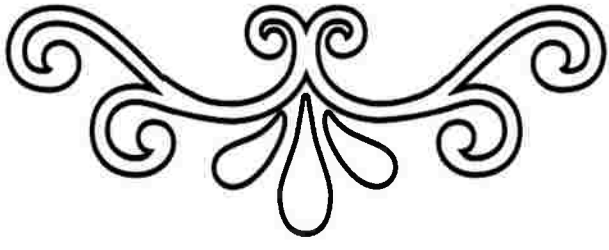

لا يُجدي الحديث عن الديمقراطيَّة، وفهم الحقوق، وتأدية الواجبات حتى نتعرَّف على أهم ركائز الديمقراطيَّة الحديثة، وأهمُّها (العَلمانيَّة والليبراليَّة والعقلانيَّة).

## ▫ العَلمانيَّة:

يقول **د. محمد التكريتي:**[1]

• «لا يوجد في العالم كله منهج سوى الإسلام الذي علَّم العالم كيف تتفق حريَّة الفكر مع استقامة الدِّين، وهذا بشهادة أهل الغرب أنفسهم.

• الفرد الناجح في الحياة هو الفرد المُبْدِع، والفرد المبدِع مَنْ كانت فرصته للنجاح والنهوض أكبر، والأمم الناهضة كانت دائمًا متبوعة وليست تابعة.

• ارتباط أي أُمَّة بمصير غيرها، وأن تكون تابعة يجعل حياتها زائفة خاوية، جوفاء خرقاء، وإنْ بَدَا على قشرتها الخارجيَّة بريق زائف ولمعان مصطنَع، فالنهضة المزيَّفة تقوم عادة على أصول فكريَّة وحضاريَّة لا تَنبُع من تراثها وأصول بيئتها الحضاريَّة، وهذا ما يهدِّد كيانها، ويجعلها دومًا تعيش في فراغ وشَتَات فكريٍّ.

• إنَّ المشروع العلمانيَّ كانَ دائمًا مشروعًا تبعيًّا، ولم يَكُن يومًا مِنَ الأيام مشروعًا أصيلًا، ولم يعبِّر في أي وقت مِنَ الأوقات عن إيمان جماعيٍّ به، ولم يتصل مِنْ قريب ولا مِنْ بعيد بنظام القِيَم والدِّين الذي اختارته الأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة.

• لقد أخطأ العَلمانيُّون الهدف، وأخطأوا الوسيلة، وأحدثت حركتهم إرباكًا شديدًا في المجتمع العربيِّ والإسلاميِّ، فتسبَّبوا في صراع لم تكن الأمَّة في حاجة إليه، وهكذا عملوا على تأخير نهضتها نحو قرن ونصف قرن مِنَ الزمان.

• لقد عمد العَلمانيُّون إلى سلب مقوِّمات وجود الأمَّة، ومرتكزات نهضتها، وكانَ ينبغي عليهم أنْ يكونوا قوة لتجديد طاقتها، وشَحْذ إرادتها.

• لقد جهِلوا تماسك العقيدة الإسلاميَّة وقدرتَها على البقاء والتجديد والنمو والثبات

(١) كتاب: «نقد العَلمانيَّة» [المقدمة]، ص (٥-٧).

والتميُّز، وجهلوا رُقِيَّ العقائد والعبادات والقيم والآداب والمعاملات والأخلاق التي جاء بها الإسلام، كما جهِلوا حيويَّة التشريع الإسلاميِّ وعظمته وعدالته.

• لقد عَمد العَلمانيُّون إلى منهج فجٍّ وَقِحٍ متهافت، فعرقلوا مشروع النهضة، وكانوا سببًا في تمزيق طاقات الأمَّة، وبعثرة مواردها الفكريَّة والحضاريَّة.

ومَنْ يطَّلع على الفِكْر العَلمانيِّ (العربيِّ) يجد حقًّا أنه فكر دخيل، مهزوم، ليست له جذور، ولا يستند إلى أساس متين، ولا يصلح أنْ يكون منطلقًا لنهضة حقيقيَّة جازمة».

• عندما أفاق الغرب مِنْ كبوته وغفوته في أوائل القرن التاسع عشر، أقام حضارة على أساس «**الإنسان والكون**» مستبعِدًا الغيبَ استبعادًا تامًّا.

وهكذا لا تلتقي هذه الحضارة مع حضارة الإسلام التي قامت على أساس «**الإنسان والكون والوحي**» فأبدعوا في بناء الحضارة الإنسانيَّة اعتمادًا على الوحي والكون كمصدرَيْنِ للمعرفة، فأضاعوا صفحات التاريخ الإنسانيِّ قرونًا طويلة.

• لم يعرف المسلمون ذلك الانفصام بين الوحي والكون على مرِّ العصور على الرغم مِنَ التقلُّبات السياسيَّة التي حصلت في كيان الأمَّة الإسلاميَّة، ولم يكن ذلك بسبب تصادم الوحي مع الكون، أو تعارض الدِّين مع الحياة، إنما كانَ بسبب انحطاط دور المسلم وجموده وتخلُّفه، وفَقْدِ ثقته بنفسه، واكتظَّت عقيدة التوحيد الصادقة بركام مِنَ المعتقدات والمذاهب الفارغة.

يقول **لويس برنارد**[1]: «ولقد تزامن هذا التخلُّف مع الغزو الأوروبيِّ الاحتلاليِّ والثقافيِّ، وتسرَّبت الأفكار الغربيَّة إلى العالم الإسلاميِّ عن طريق البعثات الطلابيَّة إلى أوروبا، ثم مجيء الخبراء إلى البلاد الإسلاميَّة، وقد ساهم في عمليَّة التغريب التي قام بها الغربيُّون بعضٌ مِنْ أبناء الشرق فحدث الانحلال السياسيُّ الذي فتَّت الأمَّة وجزَّأها، صاحَبَ ذلك انحلالٌ اجتماعيٌّ وثقافيٌّ موازٍ له».

---

(١) لويس برنارد، كتاب: «الغرب من الشرق الأوسط» ترجمة د. نبيل صبحي.

• ولقد تبلورت خلال قرنين مِنَ الزمان مدرستان لتلك الأفكار والحركات:

**الأولى:** تنطلق في برامجها ومبادئها وأفكارها مِنَ الإسلام، تهتدي بهديه، وترى أنَّ صلاح الأمَّة ونهضتها إنما يقومان على أساس الدِّين الذي أغفله المسلمون، فتسبَّبت هذه الغفلة في ضعف أخلاقهم، وتعطُّل طاقاتهم، وبرود عواطفهم.

**الثانية:** ترى أنه ليس للدِّينِ شأن في نهضة الأمم والشعوب، وأنَّ الإنسان بقدرته العقليَّة وطاقته الذاتيَّة قادر على أنْ يرسم طريق النهضة ويبني كيان الحضارة بعيدًا عن الدِّين.

• كانت هاتان المدرستان، المدرسة الإسلاميَّة والمدرسة العَلمانيَّة (الأصالة والمعاصرة) -كما يسمِّيها البعض- موجودتين جنبًا إلى جنب في الحياة الفكريَّة والسياسيَّة للعرب والمسلمين على اختلاف في قوامها ووسائلها، وتبايُن في حظِّهما مِنَ القدرة والتأثير.

• وأضحت كلٌّ مِنَ المدرستَين تمثِّل تيارًا واسعًا متنوِّعًا مِنَ الاتِّجاهات والأفكار، والوسائل والأساليب، والإمكانات والانتشار، وتتمثَّل في عشرات الأحزاب والهيئات والجمعيَّات والتنظيمات السريَّة والمعلَنة.

• هذا الصراع بين المدرستَين ما زال يمثِّل شرخًا كبيرًا في هُوِيَّة الأمَّة، وحائلًا بين وحدتها ونهضتها.

• ونهضة الأمَّة ترجع أولًا إلى تحديد هُوِيَّتِها الفكريَّة، التي تجتمع عليها، ويمدُّها بالطاقة الروحيَّة الرافعة والمحرِّكة لنهضتها ورقيِّها.

• قد تتَّفق المدرستان على التحدِّي العسكريِّ والسياسيِّ الأجنبيِّ، وتحدِّي التخلُّف السياسيِّ والاقتصاديِّ والتعليميِّ والاجتماعيِّ، لكنهم مختلفان اختلافًا جذريًّا في مدى الاستجابة لتحدِّي التخلُّف الدِّينيِّ، وتحدِّي الغزو الثقافيِّ.

• فقد كانت استجابة المدرسة الإسلاميَّة عالية لكلا التحدِّيَيْنِ، فعملت على إحياء الدِّين في نفوس الناس وتوعيتهم به، وفي مقاومة الأفكار والمبادئ الدخيلة، وإبراز محاسن الإسلام وسموِّ مبادئه، والإشادة بما حقَّقه في عصوره الأولى، لكنها قصّرت في

تقديم برامج متطوِّرة للإصلاح السياسيِّ والاقتصاديِّ.

• أمَّا استجابة المدرسة العَلمانيَّة فقد كانت سلبًا بطريقة معكوسة، فهي لم تهتم بالدِّين، ولم تعتبره جزءًا مِنْ برنامجها، وقامت على أفكار مستورَدة مِنَ الغرب، ظنًّا منها أن هذه الأفكار والمبادئ التي وجدت في أوروبا هي نفسها يمكن أن تحقِّق النهضة للأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة ونسوا أو تناسوا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة:٢١٧] وذلك في شتَّى الميادين: العسكريَّة والثقافيَّة والعلميَّة والتربويَّة والأخلاقيَّة، وغيرها.

• ويجب ملاحظة أنَّ إشكاليَّة المدرسة الإسلاميَّة هي إشكاليَّة عجز أو تقصير، أمَّا إشكاليَّة المدرسة العَلمانيَّة فكانت «خطأ» يجب تصحيحه.

وإشكاليَّة الخطأ أكبر حجمًا وأعظم خطرًا مِنْ إشكاليَّة العجز؛ لأنَّ العجز والتقصير يحتاج إلى مبادرة تحريك، أمَّا الخطأ فيحتاج إلى مبادرة تغيير، وهذه مهمة أكثر صعوبة مِنَ المهمة الأولى.

ومفهوم المدرسة العَلمانيَّة هي كل فِكْر أو اتجاه أو موقف لا يعتبر الدِّين جزءًا مِنْ مشروعه النهضويِّ أو فِكْره السياسيِّ، سواء كانَ هذا الموقف رافضًا للدِّينِ معاديًا له، أو كانَ معترفًا بالدِّين متقبّلًا له كتراث، أو ثقافة، أو كواقع تاريخيٍّ، ولكن ليس له علاقة بالدولة ولا بشئون الإنسان المدنيَّة، أو أنَّ الدِّين ليس مصدرًا من مصادر المعرفة الإنسانيَّة.

لذلك: فالفِكر الماركسيُّ هو فِكْر علمانيٌّ، والفِكْر الليبراليُّ الحُرُّ هو فِكْر علمانيٌّ، والفكر القوميُّ القائم على المدنيَّة واستبعاد الدِّين سياسيًّا هو فِكْر علمانيٌّ.

• وقد يتساءل البعض: إذا كانت العَلمانيَّة تشيع الحريَّات الليبراليَّة بمعنى أنها تطبق الديمقراطيَّة التي تعطي الحق لجميع القوى السياسيَّة والفكريَّة والاجتماعيَّة والطبقيَّة بحريَّة العمل بما في ذلك الانتخابات الدوريَّة، فهل تقبل السلطات العَلمانيَّة بنتائج التطبيق الديمقراطيِّ فيما لو فاز الإسلاميون بالأكثريَّة الساحقة، وأرادوا أن يقيموا

المجتمع الإسلاميَّ أو أسلمة المجتمع العربيِّ، هل يؤمنون بذلك أم يلجأون إلى الثكنات العسكريَّة لتحريك بعض الانقلابات العسكريَّة، ثم فتح السجون واضطهاد القوَى، وحلِّ البرلمان، وإلغاء القوانين، وتسريح الحريَّات؟ (١).

• لقد قرَّر قادة الفِكْر الغربيِّ مِنْ أمثال: (**هننجتون، وفوكوياما، وبرنارد لويس**) في كتاباتهم الشهيرة بطريقة حاسمة لا مراء فيها أنَّ العائق الأساسيَّ في المواجهة الغربيَّة على العالم الإسلامي يتحدَّد أساسًا في التناقض القائم بين الإسلام والعَلمانيَّة.

• والعَلمانيَّة تعني في ترجمتها الصحيحة (اللادينيَّة أو الدنيويَّة).

تقول دائرة المعارف البريطانيَّة مادة: **Seculer** هي: حركة اجتماعيَّة تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم مِنَ الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها، وهذا التعريف قريب وينطبق على معنى الإلحاد.

• ويقدِّم معجم أكسفورد شرحًا لكلمة **Seculer**: (دنيويّ أو ماديّ، ليس دينيًّا ولا روحيًّا، لا ينبغي أنْ يكون للدِّينِ أساسًا للأخلاق والتربية).

• ويستخدم مُصطلح «**عَلْمانيّ**» بمعنى ملحد كما في كتابات «**بيترجاي**» مؤرِّخ حركة الاستنارة(٢).

• والفكر العَلمانيُّ امتداد للفِكْر الإغريقيِّ الذي قام بإحلال الإيمان بقدرة العقل البشريِّ المجرَّد محلَّ الإيمان بالله ﷻ (٣).

• والعَلمانيَّة التي يطرحها أهلها، سواء بمعنى فصل الدِّين عن الدنيا، أو فصل الدِّين عن الدولة، هي بمثابة تجزئة للإسلام، ومِن ثَمَّ إذا كانت كذلك فهي خروج عن الإسلام، فالشريعة هي العدوُّ الأوَّل للعَلْمانيَّة.

---

(١) «الإسلام والحداثة»، سامي فرج علي (ص٢٨٥).

(٢) موسوعة الصهيونيَّة، عبد الوهاب المسيري (١/ ٢١٧).

(٣) راجع: «العَلمانيَّة وتطبيقها في الإسلام»: إيمان ببعض الكتاب وكُفر بالبعض الآخر، د.محمد البهيّ، و«الشورى لا الديمقراطيَّة»، د. عدنان علي رضا النَّحوي، و«حقيقة العَلمانيَّة بين التخريب والخرافة»، د. يحيي هاشم.

يقول **د. سفر الحوالي**[١]: «المدلول الصحيح للعَلْمانيَّة هو إقامة الحياة على غير الدِّين (أي: فصل الدِّين عن الحياة) وفي المجتمعات الديمقراطيَّة الليبراليَّة والتي تُسمِّي منهجها «بالعَلمانيَّة المعتدلة»، أي أنها مجتمعات لا دينيَّة، ولكنها غير معادية للدِّينِ، وذلك مقابل ما يُسمَّى (بالعَلمانيَّة المتطرِّفة) أي: المضادَّة للدِّينِ، ويعنون بها المجتمعات الشيوعيَّة وما شاكَلَها.

وكلا المُسَمَّيَيْنِ قائم على اللادينيَّة، فهما في حقيقتهما مضادَّان للدِّينِ، فالإسلام واللادينيَّة نقيضان لا يجتمعان، ولا صلةَ بينهما.

• وليس في الإسلام سلطتان أحدهما دينيَّة والأخرى سياسيَّة، وأنَّ كُلًّا منهما تُكَمِّل الأخرى، وكلاهما جزء من الإسلام (قرآن وسُنَّة).

• والعَلمانيَّة لا يمكن أنْ تكون محايدة مع الدِّين؛ لأنَّ عزل الدِّين عن حياة المجتمع أو تفريغ حياته مِنَ الدِّين ليس موقفًا حياديًّا، إنه موقف ضدُّ الدِّين، إنه يقوم على اتِّهام الدِّين بأنه ضرر بالحياة وخطر عليها، فيجب إبعاده عن توجيه الحياة وتأثيره فيها، ويجب أن تبنى الحياة في تشريعها وثقافتها وإعلامها وتقاليدها بعيدًا عنه، ومثل هذا الموقف لا يعتبر حِياديًّا، بل هو حُكم يُدين الدِّين ويحرِّمه ويقضي بعزله، ويتسبَّب في حرمان المسلمين مِنْ خمسة آلاف مسألة تشريعيَّة جاءت مع القرآن والسُّنَّة، أجمع العالم بأكمله أنه ليس فيها مسألة واحدة تناقض العقل أو الفِطرة، أو تتعارض مع المصلحة».

• يقول **الأستاذ محمد إبراهيم**[٢]: «إن الإسلام يواجه العَلمانيَّة بشموله كل جوانب الحياة، فكان القرآن والسُّنَّة تبيانًا لكل شيء؛ فالإسلام يشمل جوانب الحياة كلها ماديَّة ومعنويَّة، فرديَّة واجتماعيَّة، وهي لا تسلم له بهذا الشمول، فلا مفرَّ من الصدام بينهما.

إنَّ النَّصرانيَّة قد تقبل قِسْمَة الحياة وشطرَها، شطرٌ للإنسان، وشطرٌ لله، شطرٌ للدِّينِ،

---

(١) العَلمانيَّة د. سفر الحوالي (مقدمة).

(٢) «العَلمانيَّة العدو الأكبر» محمد إبراهيم مبروك، ص (٤١).

وشطرٌ للدولة، أو كتعبير الإنجيل «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله»[1].

أمَّا الإسلام فيرى أنَّ الحياة واحدة لا تتجزَّأ، وأنَّ الإنسان كيان واحد لا ينفصل، وأنَّ الله ﷻ هو الخالق المالك، الملك الإله، لا يقبل قيصرَ شريكًا له، فلا يجوز لقيصر أنْ يستوليَ على جزء مِنَ الحياة، ويوجِّهها بعيدًا عن هدى الله تعالى، فالله ﷻ الخالق والآمر، والحَكَمُ على خلقِهِ، ولا يريد أنْ يتدخَّل بينه وبين خلقه مخلوق منه؛ لذلك قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة].

**◘ لا يَقوم بهذا الدِّين إلَّا مَنْ حاطهُ مِنْ جميعِ جوانبه.**

• لا يرضى الإسلام أنْ يكون في الحياة فضلةً، بل عمدةً، أو أنْ يكون له منها الهامش، بل الصُّلب، أو أنْ يكون لغيره القيادة، وعليه الطاعة والاتباع!! فليس له مكانة إلَّا أنْ يكون الأعلى، وأنْ يكون قائدًا لا مَقُودًا، سيِّدًا لا مَسُودًا، لأن كلمة الله هي العليا دائمًا. قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].

• والعَلمانيَّة تقبل الإسلام وترضى عنه إذا كانَ محصورًا في الموالد والمآتم، في دنيا الدراويش والمجاذيب، وعالم الخرافة والأساطير، أمَّا أنْ يتحرَّك ويوجِّه، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويقود الجماهير، ويضيء العقول، ويصنع الأبطال والعباقرة والعُلماء والفقهاء والأمراء، ويضبط مسيرة المجتمع بالحق، ويقيم بين الناس موازين القسط، ويقاوم الانحراف والفساد، فهذا ما لا ترضى عنه العَلمانيَّة بحال مِنَ الأحوال.

وتريد العَلمانيَّة مِنَ الإسلام أنْ يكون خاملًا تابعًا في ركن أو زاوية ولا يتعدَّاها، وتعتبر هذا تفاضلًا منها عليه، لأنَّ الأصل عندهم أنْ تكون الحياة كلها لها بلا مزاحم أو شريك، فمَنْ أعطاها هذا الحق؟!

• على الإسلام أنْ يَقْنَعَ في نظر العَلمانيِّين بالحديث الدِّيني المحدود في الإذاعة أو

---

(١) إنجيل متَّى (٢١)، إصحاح (٢٢).

التلفاز، أو صحيفة دينيَّة، أو خطبة يوم الجمعة، ويفرَض عليه أنْ يتحدَّث في جانب دون آخر، وسورة دون أخرى .. عليه أن يقنَع بذلك، ولا يمدَّ بعينيه إلى ما هو أكثر مِنْ ذلك، بل عليه أنْ يشكر العَلمانيَّة التي أتاحت له أنْ يُطِلَّ برأسه مِنْ تلك النوافذ أو الزوايا.

• والإسلام بعظمته يرفض أنْ يكون مجرَّد ركن في الحياة؛ لأنه موجِّه الحياة وصانعها، يرفض أنْ يكون ضيفًا على العَلمانيَّة تبيع وتشترى فيه، بل هو صاحب الدار.

• مِنْ هنا يصطدم الإنسان بالعَلمانيَّة، ولا بُدَّ أنْ يصطدم معها في كل شُعْبَة مِنْ شُعَب تعاليمه الرئيسة مِنَ العقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، والتشريع.

• والاشتراك بين الإسلام والعَلمانيَّة في قدر مِنَ العَقلانيَّة لا ينفي التناقض بينهما، وهذه من الثغرات التي ينفذ إليها العَلمانيُّون لإضلال الناس، حيث يقولون: إن الإسلام دين العقل. إذن لا يوجد تناقض بينه وبين العَلمانيَّة التي تجعل مِنَ العقل مرجعيَّتها.

ونسِيَ هؤلاء أنْ يقولوا لنا أي العقل هو مرجعيَّة العَلمانيَّة؟! ثم إن الإسلام دين الشرع الذي يكمِّل نُقْصان العقل، ويصحِّح أهواءه، ويضبط نزواته وشهواته ورغباته، ويكبح لجام تطرُّفه وعناده وكِبْره، ويعلمه ما يجهله، ويُرشده إلى ما ينفعه، ويُحرِّم عليه ما يضرُّه، والعقل تابع للشرع، (وليس العكس كما يدَّعي هؤلاء) يحميه مِنَ الضلال والإضلال ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه].

**لذلك نتساءل: أي عقل نتبع؟ وأيهما أولى: الوحي الذي أنزل بعلم الله، أم الهوى النابع من عقول البشر ؟!**

والله ﷻ قد أجاب على هذا التساؤل بالتفصيل في مواضع كثيرة مِنَ القرآن الكريم والسُّنَّة المشرَّفة، ونذكر موضعًا مِنْ هذه المواضع ذكره الله تعالى في سورة الأنعام من الآية (١١٢) إلى الآية (١١٩). وتدبَّرْ كيف يبيِّن لنا القرآن العظيم «فهم النفسيَّات» ويقصُّ علينا نفسيَّة هؤلاء (الكفار، المنافقون، العَلمانيُّون، الملاحدة، وغيرهم).

قُمْ الآن وافتح المصحف، ولاحظ في هذه الآيات ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾. ٢- ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾.

٣- ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾.
٤- ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾.
٥- ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾.
٦- ﴿فَذَرْهُمْ﴾، ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.
٧- ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾.
٨- ﴿وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾.
٩- ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾.
١٠- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾.
١١- ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.
١٢- ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾.
١٣- ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.
١٤- ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.
١٥- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾.
١٦- ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾.
١٧- ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾.
١٨- ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.
١٩- ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾.
٢٠- ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾.
٢١- ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾.
٢٢- ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.
٢٣- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ﴾.
٢٤- ﴿مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾.
٢٥- ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.
٢٦- ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾.
٢٧- ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾.
٢٨- ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾.
٢٩- ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾.
٣٠- ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

**وأخيرًا: ٣١-** ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.. إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

إنها خريطة ربَّانيَّة ترسم لنا صورًا لكل شخصيَّة تحاول وتجادل أهل الإيمان، تحكي لنا الواقع الذي نحياه الآن ونشاهده في المجالس، والصالونات، والندوات، والفضائيَّات، والإعلام، وصدق الله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء].

• إنَّ الأسباب التي دعت إلى ظهور العَلمانيَّة في أوروبا لا وجود لها في عالم الإسلام، فليس في الإسلام خُرافات وأقوال تخالف الفطرة أو العقل أو المنطق، والإسلام هو الذي حمَى حريَّة الفِكْر ودافع عنها، إنما يُعارِض الإسلامُ الفوضَى والانحلالَ.

• وإذا كان للعلم المجرِّد الماديِّ نصيب كبير في سعادة الإنسان ورفاهيته وحفظ صحته، فهو أيضًا له نصيب وافر كبير في فواجع وكوارث أسلحة الدَّمار الشامل وكوارث الحروب، وانتشار الأوبئة والأمراض النفسيَّة والعصبيَّة، ناهيك عن القلق والاضطراب وتلوُّث البيئة، كما تلوَّثت الأخلاق والسياسات.

• لكن الكنيسة بما آلت إليه مِنْ انحطاط أدَّى إلى ظهور العَلمانيَّة بقوة في أوروبا، كما وصف المطران «**غريغور جراد**»: «المجتمع الغربيُّ يفِرُّ مِنَ الدِّين، كما يفِرُّ السجين إلى الفضاء المطلق، والحقيقة أنه لم يفرَّ مِنَ «الله» وإنما فرَّ مِنَ «الكاهن»، ولم يهرب مِنَ الدِّين وإنما هرب مِنَ الكنيسة»[1].

• وإذا أردت أنْ تعرف آثار العَلمانيَّة في الدول الإسلاميَّة التي تبنَّتها فانظر ماذا فعلت في تركيا بعد سقوط الخلافة الإسلاميَّة مِنْ قتل العلماء والدُّعاة، وإلغاء الآذان وهدم المساجد، وإلغاء اللغة العربيَّة، والزِّيِّ الإسلاميِّ، وفرض القُبَّعة والزيِّ الأفرنجيِّ بقوة القانون، وصارت تركيا بعد أنْ كانت تصدِّر للعالم القادة والأمراء والعلماء، أضحت تصدِّر السائقين والخَدَم والطُّهاة.

---

(١) «حتميَّة الحلِّ الإسلاميِّ» د.يوسف القرضاوي، ص (١١٩).

• وفي تونس: ألم يكن بورقيبة عَلمانيًّا اضطهد الشعب وكمَّمَ الأفواه، ومنع الحريات، والكلُّ يعلم ما آلت إليه تونس بسبب هذه العَلمانيَّة.

يقول **د. محمد التكريتي**: «إنَّ العَلمانيَّة الغربيَّة لا تعرف إلَّا دينًا واحدًا هو: «الرُّقيُّ الماديُّ» وكنائس هذا الدِّين هي المصانع الضخمة، ودور السينما، والمختبرات الكيماويَّة، ودور الرقص، ومراكز توليد الكهرباء، وأمَّا كهنتها فهم رؤساء المصارف، والممثِّلات وكواكب السينما، وأقطاب التجارة والصناعة، ولاعبو الكرة، والمبرِّزون الذين يضربون رقمًا قياسيًّا»[1].

بعد هذه الجولة السريعة حول العَلمانيَّة وتقييمها، أصبح واضحًا لدينا الارتباط الوثيق بين النظام الديمقراطيِّ والنهج العَلمانيِّ، وأنهما قرينان لا يفترقان، ومتَّفقان على فصل الدِّين عن توجيه الحياة العامة، وحصره في ضمير الإنسان وتعبيراته الشخصيَّة ودور العبادة فقط، ولا مانع مِنْ توظيفه أحيانًا لمصالحهم، وقصر الاهتمام الإنسانيِّ على الحياة الماديَّة الدنيويَّة، وإقامة دولة ذات مؤسَّسات سياسيَّة لا دينيَّة.

والإسلام لا يعادي المعارف النافعة، بل يحثُّ على سلوك الطرق والوسائل المؤدِّية إليه.

ألا تتأمَّل أنَّ أول آية نزلت لم تكن في التشريع والأحكام والعبادات، إنما كانت ﴿اقْرَأْ﴾ ولكنها قراءة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ [العلق]، ثم تظهر الثمرة كلما قرأت ازداد كرم الله تعالى لك: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤﴾ [العلق].

• بل جعل الله ﷻ الغاية من خلق الإنسان في صدر سورة الرحمن محصورة بين علم القرآن والبيان فقال ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾.

بل ما فضَّل الله تعالى آدم على الملائكة إلَّا بالعلم. قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٣١ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝٣٢ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣﴾ [البقرة].

---

(١) «نقد العَلمانيَّة»، ص (٣١).

# وقفة

## مَن يخلّصُنا مِن متاهات الحضارة الماديَّة؟

• إنَّ معضلة غياب المراجعة في الصف العلمانيِّ تعود إلى الاعتياد على مخالفة الأصول والأعراف؛ مما يعني المزيد مِنْ الانطواء على الذات، وعدم الخروج بنموذج جديد بنَّاء، وما هي إلَّا مصالح ذاتيَّة وانتهاز الفرص لاقتناص الغنائم وتوزيعها، وغياب المراجعة يعني غياب العقل الفعَّال عن الساحة، وبالتالي عدم الأهليَّة لحضور حصاد الثمار.

• وذلك يعود لأنَّ الفِكْر العلماني يخلو مِنْ أيِّ وحيٍّ ربَّانيّ، وغياب أصول وقواعد الاستنباط مِنْ هذا الوحي.

• ولم يبقْ لديهم إلَّا الدعوة لإسكات المخالف، والتشكيك في أهليته للاختيار (اتِّساقًا مع مفهوم القطيع الذي يجب أنْ يسوقوه هم).

• إنَّ المنافسة الشريفة هي عدوهم الحقيقي، يغضبون إذا قام الناس مِنْ أجلِ النهضة والإصلاح والصلاح.

[حسام الدِّين حامد، ومقال: النخبة العَلمانيَّة، مجلة رابطة النهضة والإصلاح، العدد التجريبي عام ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م]

❁❁❁

• ولا شك أنَّ الإسلام هو الوحدانيَّة التي يحتاجها العالم المعاصر ليتخلص مِنْ متاهات الحضارة الماديَّة المعاصرة التي لا بُدَّ إنْ استمرت أنْ تنتهي بتدمير الإنسان.

إنَّ الطريقة الوحيدة نحو تصحيح المسار المادي المنحرف للإنسان الغربي المعاصر؛ هو عودة الإنسان إلى الإيمان بقوة تهيمن على حياته (كما هو عند المسلمين الملتزمين به)، وهي التي تحدد له قيمه ومسئولياته الأخلاقيَّة والاجتماعيَّة.

[سولجنستين (الروائي الروسي) نقلًا عن مجلة الأمان اللبنانيَّة – العدد ٥٧]

❁❁❁